الفصل الثامن

حى بولاق القديمة (حى الأشرار)
الذى أخرج أهم جماعة
من جماعة الجهاد!!

obeikandl.com

obeikandl.com

حى بولاق القديمة، هذا الحى الذى أخرج أهم جماعة من جماعة الجهاد التى أرهبت العالم، هذا الحى لا يمثل أكثر من خمسة فى المائة من مساحة حى (بولاق الدكرور) هذا الحى الذى يطلقون عليه الصين الشعبية للزيادة الشديدة من السكان، حيث يصل عدد السكان إلى ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة.

حى (بولاق الدكرور) يضم عدة أحياء مختلفة وهى (حى بولاق القديمة، حى أرض اللواء، حى أبو قتاتة، حى ناهيا) هناك شارعان رئيسيان فى ذلك الحى الكبير من خلالهما تصل إلى كل هذه الأحياء الصغيرة وهما شارع ناهيا وشارع همفرس، كل شارع أمامه مزلقان يفصله عن حى المهندسين الراقى الذى يسكنه الأثرياء وأصحاب المناصب الرفيعة.

عندما تدخل حى (بولاق الدكرور) لا تجد حى (بولاق القديمة) فهو يقع فى نهاية أول شارع جانبى متفرع من شارع همفرس الرئيسى، هذا الشارع الجانبى اسمه (شارع الشراقوة) وهو شارع مساحته لا تزيد عن مترين ونصف، لا تستطيع المرور فيه بالسيارة، فى آخر هذا الشارع الطويل تجد أمامك حى بولاق القديمة، معظم سكان أهل الحى حتى منتصف السبعينيات من القرن الماضى، كانوا يشتغلون بالتجارة، وخاصة تجارة الخضار وهم المسيطرون على معظم سوق الخضار الرئيسى، الذى يقع بين شارعى همفرس وناهيا، وهناك من يعملون بالجزارة، والأكثرية من السكان يعملون بالحرف الشاقة مثل نجارة المسلح والسباكة والنقاشة، والشىء اللافت أن السيدات يشاركن أزواجهن فى التجارة والبيع والشراء، وحتى منتصف السبعينيات كان مستوى التعليم لدى أهل الحى منخفضا، ويكاد يكون أعداد الطلاب الجامعيين يعد على أصابع اليد، أهل الحى

يتسمون بالعنف الشديد، ويستخدمون الأسلحة البيضاء والمسدسات فى مشاحرتهم التى تحدث بشكل يومى.

بداية ظهور جماعة الجهاد

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتحديداً بعدها بعام، بدأت تظهر الجماعات الإسلامية على الساحة فى بولاق الدكرور، بدأت الجماعات بأشكالها المختلفة إخوان مسلمين، جماعة الجهاد، الجماعة الإسلامية، جماعة التبليغ والدعوة.. البداية عندما بدأ (محمد عبد السلام فرج) يؤسس جماعة الجهاد الجديدة، وهو الذى قام بتأليف كتاب (الفريضة الغائبة) الذى اتخذته جماعة الجهاد دستوراً يسيرون عليه، وبسبب هذا الكتاب تم إعدام (محمد عبد السلام فرج) فى قضية مقتل الرئيس (السادات) عام ١٩٨١!!

● **كيف استطاع محمد عبد السلام فرج تكوين هذه الجماعة؟**

الغريب فى الأمر أن (محمد عبد السلام فرج) لم يكن من سكان (بولاق الدكرور) أنما هو قادم من مدينة الشرقية، وكان يعمل مهندسا زراعيا، استطاع (محمد عبد السلام) أن يتعرف بالحاج غريب وهو أحد كبار حى (بولاق القديمة) ويمتلك أراضى زراعية كبيرة فى حى (ناهيا) وبعد فترة قصيرة تزوج (محمد عبد السلام) من ابنة الحاج (غريب فايد) واستطاع (محمد عبد السلام) أن يكون مجموعة من الشباب المتعلم ليجعلهم نواة لجماعة الجهاد، فى مسجد (على بن أبى طالب) هذا المسجد على ناصية شارع غريب فايد وأمام منزل حماء، وبجوار هذا المسجد يقع منزل (منتصر الزيات) أحد أفراد جماعة الجهاد والذى تحول فيما بعد إلى محامٍ يدافع عن الجماعات الإسلامية بوجه عام، فى

هذا المسجد وكما ذكر لى أحد سكان الحى أن هذه المجموعة من الشباب كان أبرزهم (عبود الزمر) الذى كان يعمل فى ذلك الوقت ضابطا فى القوات المسلحة برتبة مقدم، وكان من ضمن الناس الذين يؤمنون المنصة الرئيسية التى كان يجلس عليها الرئيس ا(لسادات) أثناء العرض العسكرى، (عبود الزمر) ليس من سكان بولاق القديمة إنما هو من سكان حى (ناهيا) وهو يبعد عن حى بولاق القديمة بأكثر من خمس وعشرين محطة أتوبيس، تقطعها السيارة فى ساعة من الزمن، الغريب أن (عبود الزمر) ضابط المخابرات، كان يقوم بإلقاء خطبة الجمعة فى مسجد (على بن أبى طالب) بالتناوب مع الشيخ المهندس (محمد عبد السلام فرج) هذا ما ذكره لى المحامى الكبير (منتصر الزيات) بالرغم أن الشيخ (محمد عبد السلام فرج) كان أكثر علماً ولكن الشيخ عبود الزمر كان أكثر جرأة فى إلقاء الخطب لتحميس الشباب.

الفرد الثانى من الجماعة: كان (أيمن الظواهرى) الرجل الثانى فى تنظيم القاعدة فيما بعد، وأيمن ليس من سكان حى بولاق القديمة، إنما هو من سكان حى المعادى الراقى، وهو من عائلة كبيرة، سبب هروبه إلى هذا الحى الفقير، أنه كان مطاردا من أجهزة الأمن، الشىء المحزن أن (أيمن الظواهرى) الطبيب والذى ينتمى إلى عائلة بها المستشار والأستاذ الجامعى وأخواته دكاتره يوافق أن يسكن فى منزل شبه مهجور يطل على (مصرف مجارى) مكشوف فى حى (صفط اللبن)، وهو يبعد عن حى بولاق القديمة بخمس محطات، هذا (المصرف) الذى كان يسكن بجواره (أيمن الظواهرى) تسبب فى انتشار مرض الكوليرا فى مصر فى فترة السبعينيات واعتبرته منظمة الصحة العالمية أن حى (صفط اللبن) من أقذر أحياء العالم، ولكن (أيمن الظواهرى) وافق على السكن فى هذا

الحى المهجور فى وقتها حتى لا يتم القبض عليه من أجهزة الأمن، أنا ذهبت وشاهدت (فيلا) أيمن الظواهرى فى (شارع ٥٤) (نمرة ١٠) فى حى المعادى وهو من أرقى الأحياء السكنية فى مصر، حيث البنايات الشاهقة والفيلل الفخمة، هذا الحى يسكنه علية القوم فى مصر من رجال الأعمال والوزراء والدبلوماسيين، وبه الكثير من السفارات الهامة، وبالطبع الشوارع نظيفة واهتمام المسؤولين عن الحى شىء ليس فيه اختيار؛ لأن سكان الحى لديهم القدرة على تغيير المقصرين من موظفى الحى المسؤولين عن تقديم الخدمات. تشعر وأنت فى هذا الحى برائحة الثراء غير العادى، وتتمنى أن تكون من سكان هذا الحى، الذى يضم صفوة المجتمع المصرى.

ومن هنا يسأل البعض لماذا يترك (أيمن الظواهرى) هذا الحى المميز ليذهب ليعيش فى حى مهجور قذر يسكنه الهاربون من القانون؟ ويقيم مع المجرمين المطاردين من العدالة، وهنا لا أقصد زملاءه من أعضاء الجماعات الإسلامية، فهؤلاء لهم توجهات وأهداف أخرى، نتفق أو نختلف معهم، هل (أيمن الظواهرى) الذى تربى وسط أسرة كل أفرادها من العناصر الصالحة فى المجتمع، حيث شاهدت بعينى عيادة أخته طبيبة الأورام وهى تقع فى أول (شارع ٥٤) وخاله مستشار، وأسرته تتمتع بالسمعة الطيبة من أهل الحى، وهذا ما لمسته عندما سألت عن أخلاق (أيمن) وعندما دخلت (الفيلا) للتحدث إلى أخته التى تقيم فى الدور الثانى من الفيلا، ووضعت يدى على جرس الباب لفترة طويلة، لم يسأل عنى أحد، ولم يفتح الباب، وعندما نزلت لسؤال أحد الساكنين فى الفيلا، المكون من ثلاثة طوابق، لماذا لا يرد أحد من شقة أخت (أيمن الظواهرى)؟ قال: أخت أيمن تظل فى شقتها بالأيام قد تتعدى الأسابيع لا

تنزل من شقتها!! خوفاً من مطاردة الصحفيين والإعلاميين ورجال الأمن، وقال: إن (والدة أيمن) تركت الفيلا لتقيم فى شقة جديدة فى إحدى العمارات الشاهقة فى (شارع ٦) فى نفس حى المعادى وهى سيدة فاضلة، ولكنها قوية فى معاملاتها، وهذا ما لمسته بنفسى، عندما حاولت أن أتقابل معها لإقامة حوار، وجدتها ترفض بشدة ولم تتركنا نصل إلى باب شقتها، وكان معى المصور والزميل (أسامة أمين) وقالت: كل أخبار (أيمن) نعرفها عن طريق الصحافة والقنوات الفضائية، أنا ليس عندى أى معلومات كى تسألونى عنها!!

كان سبب زيارتى (للفيلا) لمقابلة السيدة (أم أيمن الظواهرى) للتأكد من صحة الخبر الذى نقلته وسائل الإعلام، أن الطائرات الأمريكية قامت بقصف منزل (أيمن الظواهرى) فى باكستان أثناء حربها ضد (تنظيم القاعدة) فى عام ٢٠٠٣ وأن هذا القصف أدى إلى وفاة زوجة أيمن وأولاده، والوحيد الذى نجى هو (أيمن الظواهرى) بالطبع إذا كان الخبر صحيحا كانت السيدة (أم أيمن) أقامت سرادق للعزاء، وهذا لم أشاهده إنما المصادفة الغريبة أن أحد سكان الفيلا وهى من عدة طوابق كما ذكرت ولها مدخلان، كان عنده حالة وفاة، وجلست فى هذا السرادق حتى انتهى الشيخ من القراءة، وكان معى الزميل المصور (أسامة أمين) وكل الناس قاموا بأداء واجب العزاء وذهبوا إلى منازلهم، ولم يتبق غير أنا والزميل المصور، فجاء رجل كبير فى السن ليسألنا من أنتم؟ وظن أننا جئنا لتأدية واجب العزاء؟ فبادرته بالسؤال: نحن نريد أن نقوم بتأدية واجب العزاء للسيدة (أم أيمن) فى وفاة أحفادها؟ فقال: هذا عزاء خاص بزوجتى؟ وقال: إن السيدة أم أيمن لا تقابل أحدا، وهذا ما جعلنا نعلم أن الخبر غير صحيح، وأنها فبركة أمريكية.

الشيء المحير عندما سألت وزير الداخلية (النبوى إسماعيل) عن رأيه فى (أيمن الظواهرى) قال: هذا الولد أنا جلست معه عدة مرات وهو إنسان محترم وابن ناس!! وأنا لا أعرف كيف ابتلاه الله بمعرفة هؤلاء المجرمين، إنما (أيمن الظواهرى) من الأولاد الطيبين جداً، هذا رأى وزير الداخلية الذى فقد منصبه ومكانته بسبب اغتيال رئيس الدولة الذى كان من مهام عمله أن يؤمنه، أنا لم أكن مقتنع برأى وزير الداخلية فى أيمن الظواهرى، الأغرب هو رأى اللواء (فؤاد علام) نائب رئيس أمن الدولة السابق، الذى قام بالتحقيق فى قضية مقتل الرئيس (السادات)، فيرى أن (أيمن الظواهرى) إنسان محدود الذكاء، وغير ملفت للأمن. وأن دوره فى قضية مقتل الرئيس (السادات) كان محدودا للغاية، ولذلك حكم عليه بثلاث سنوات فقط فى هذه القضية، إنما الشيء الذى يدعو إلى التساؤل هو أن (منتصر الزيات) وهو رفيق لكفاح والذى تعرض للاعتقال أكثر من مرة بسبب انتمائه لجماعة الجهاد، وهو نفسه أكد أكثر من مرة أنه منهم، وهو الذى عرض نفسه لمتاعب كثيرة وانتقادات لاذعة بسبب دفاعه عن الجماعة فى ساحة المحاكم، السؤال لماذا دائماً منتصر الزيات يهاجم (أيمن الظواهرى) ويصفه بأنه المدبر لكل العمليات التى قامت بها جماعة تنظيم (القاعدة) وبأنه إنسان فى غاية الذكاء؟

الفرد الثالث: هو (مجدى غريب) وهو الأخ الأكبر لزوجة (محمد عبد السلام فرج) وهو حاصل على مؤهل متوسط (دبلوم صنايع) قسم نجارة وفاتح ورشة خاصة به، وقد تم اعتقاله أكثر من مرة بسبب قضايا كثيرة أمنية، الغريب أن (مجدى غريب) الذى تعرض للاعتقال كثيراً من أجل إقامة دولة الخلافة الإسلامية، وإقامة العدل فى العالم، عندما توفى والده الحاج (غريب فايد) وترك مساحة كبيرة من الأرض، رفض الأخ

(مجدى غريب) أن يعطى أخواته البنات ميراثهم فى الأرض وحجته أن البنات لا تأخذ أرضا!!

طعن مجدى غريب فى شرع الله، وهو الميراث وظلم أخواته البنات!!

الفرد الرابع: هو (مجدى سالم) وهو مهندس وما زال محبوسا حتى الآن وهو الذى قام بالزواج من زوجة الشيخ المهندس (محمد عبد السلام فرج) بعد أن تم تنفيذ حكم الإعدام فيه وهو المسؤول عن فرقة (طلائع الفتح) الجناح العسكرى لجماعة الجهاد التى كانت تضم (١٢٠) رتبة فى الجيش المصرى.

الفرد الخامس هو (منتصر الزيات): وهو المحامى الكبير والذى تحمل الكثير من أجل الحفاظ على المبدأ، ولم يتنكر فى يوم من الأيام من كونه عضوا بارزا فى جماعة الجهاد، وهو الذى قام بمهاجمة اللواء (فؤاد علام) أكثر من مرة فى وسائل الإعلام، وقال: إن أول قلم أخذته على وجهى كان من (فؤاد علام)، ووقتها رد اللواء (فؤاد علام) قال: إن منتصر الزيات يكذب وواجهه بكل قوة فى وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة.

الذكرى الجميلة التى لا ينكرها المحامى (منتصر الزيات) هى يوم زواجه من ابنة الحاج (غريب فايد) وهى أخت زوجة (محمد عبد السلام فرج) هذا الزواج تم تحت حماية أمن الدولة؛ لأن عقد القران تم فى مسجد (على بن أبى طالب) وتم فرش الحصر فى شارع زنين، وحضر هذا الفرح الإسلامى كل شباب جماعة الجهاد، وكان يحيط بالحى بأكمله ضباط أمن الدولة وكان من رواد مسجد (على بن أبى طالب) مجدى القمرى الضابط بالقوات المسلحة، وهو أحد أهم جماعة الجهاد والذى تم إعدامه فيما بعد.

فى هذا الحى (بولاق القديمة) تقابلت مع رجل شيخ وهو بائع جرائد وهو يعرف (محمد عبد السلام فرج) جيداً قبل اعتقاله وبزوغ شهرته عندما سألته عن رأيه فى الشيخ (محمد عبد السلام فرج)؟

قال: إن (محمد عبد السلام فرج) كان أثناء المناقشة لا يتقبل رأى من يخالفه، وإذا أصر من أمامه على رأيه، يمسك الشيخ (محمد عبد السلام) بيده ويضربها على الأرض وينهى المناقشة، أى أنه لا يحتمل المجادلة والمناقشات الطويلة، ويريد ممن يجالسه أن يستمع ويطيع بدون إبداء للرأى.

وهذا الشيخ بائع الجرائد قال: إن (محمد عبد السلام) لم يكن باراً بوالديه إنما هناك رأى آخر استمعت إليه من أهل الحى (بولاق القديمة) فى (محمد عبد السلام فرج) أنه كان طيب القلب، كان دائماً يدعوهم إلى الصلاة ويطالبهم بالذهاب إلى المسجد، حتى عندما كانو يطالبونه بأن يلعب معهم كرة القدم، كان يرفض ويقول لهم: اللعب مضيعة للوقت والحياة لا تحتمل اللعب تعالوا صلوا أفضل لكم.

هناك من شكر فى الشيخ (محمد عبد السلام فرج) وهناك من انتقده بشدة، عندما سألت اللواء (فؤاد علام) عن مقابلته للشيخ (محمد عبد السلام فرج) قال: عندما توليت التحقيقات بعد انتدابى وكنت قبلها بعيداً عن أمن الدولة، كانت المعلومات غير متوفرة، وهذا بشهادة القاضى نفسه الذى قام بالحكم فى القضية، عندما طلبت مقابلة (محمد عبدالسلام فرج) وجدته مريضا ورافضا تماماً أن يتحدث معى ولم يدلِ بأى شىء.

بداية انتشار الجماعات

فى نهاية فترة السبعينيات وتحديداً قبل اغتيال الرئيس (السادات) بعامين بدأت الجماعات الإسلامية تنشط بشكل واسع فى حى بولاق الدكرور بوجه عام، كما ذكر لى أحد أفراد الحى الذى أعلن أنهم كانوا على خطأ، وهو رجل فى الأربعينيات من العمر، أن فى نهاية السبعينيات قد بدأت الدولة فى عمل مشاريع كبيرة للصرف الصحى فى منطقة (صفط اللبن) والتفكير فى ردم المصرف الموبوء فى حى (صفط) الذى تسبب فى انتشار مرض الكوليرا، أثناء إنشاء المواسير وعمليات الحفر كانت الشركة المسئولة عن عمل هذه المشاريع شركة أمريكية فقاموا بتقسيم مساحات من الأراضى الواسعة الخالية من السكان، لجعلها مخازن للمعدات الحفرية والمواسير ذات الأحجام الكبيرة، وقطر هذه المواسير كبيراً، فكان الأولاد المنحرفين يذهبون إلى هذه الأراضى المستخدمة كمخازن وبصحبتهم النساء والمخدرات والخمور، وأصبحت منطقة خطر لا يستطيع أحد من أهل الحى المرور فيها ليلاً، خوفاً من الأولاد المجرمين المسجلين خطر، ولكن الذى حدث أن (محمد عبد السلام) بدأ يكلف مجموعات من الشباب المنتمى بجماعته، بالذهاب إلى هذه المخازن التى يسمونها (بأرض المشروع) هذه المجموعات دورها أن تقتحم هذه المناطق الخطرة ويمسكون بالرجال والشباب الذين يمارسون الجنس مع النساء، ويأخذون فى إهانة الشاب بضربه بالأيدى على الوجه وضربه بعصا خفيفة على يده، كنوع من إهدار رجولته وكرامته أمام المرأة المنحرفة، حتى لا تتقبله مرة أخرى، ولا يتعرضون للنساء بالأذى، إنما يبدأون فى نصيحة هذه الفتاة بالابتعاد عن الانحراف، واستمروا فى هذه الحملات لفترات طويلة واصطدموا بالمجرمين المسجلين خطر، ولكنهم

استطاعوا التغلب عليهم، والأغرب أن أصحاب السوابق و لمجرمين الذين يخشاهم الناس، أصبحوا فى حالة رعب من أفراد هذه الجماعات وحدث صدام بين أحد هذه الجماعات وبلطجى مشهور فى حى (بولاق القديمة) اسمه (عطية الزونة) هذا البلطجى كان يعيش على فرض الأتاوات على البائعين الغلابة فى السوق، ويقوم بانتظار بنات الليل الذين يعملون بالدعارة على سلم مزقان بولاق الدكرور عند عودتهم قبل الفجر بقليل، ويأخذ منهم فولسهم تحت تهديد السلاح الأبيض، وكان يساعده فى ذلك عدد من البلطجية والمسجلين خطر، هذا البلطجى كان يخشاه أهل الحى، حتى إن تجار المخدرات فى هذا الحى كانوا يدفعون أتاوات لهذا البلطجى المسجل خطر، حدث الصدام بين هذا البلطجى وأحد أفراد جماعة الجهاد بعد صلاة العصر، بالطبع أتباع هذا البلطجى قاموا بالاستقواء على هذا الشاب الصغير وضربوه ضرباً مبرحاً، وظن البلطجى أن هذه المشاجرة مثل غيرها سوف تمر، بدون أن يفكر هذا الولد ولا هو ولا أهله مجرد التفكير بالاصطدام بعطية الزونة، المجرم وصاحب السوابق الذى يخشاه أصحاب السوابق من أمثاله، ولكن المفاجأة التى لم يكن يتوقعها هذا المجرم، أن الجماعة تقابلوا فى المسجد، وقرروا هدر دمه وقتله، عندما علم والد هذا البلطجى بأن ابنه اصطدم بأتباع (محمد عبدالسلام فرج) وعلم بنيتهم، ويعرف أن هؤلاء الناس عندما يقررون شيئا ينفذونه بدون خوف من أحد، المهم تنفيذ "وامر الأمير، والد البلطجى يبحث عن حل، ابنه سوف يتم قتله، فجاءته فكرة أن يرسل لهم كبار أهل الحى للتوسط وطلب العفو والسماح عن ابنه البلطجى، فكان الاتفاق بين كبار أهل الحى والجماعة، على أن يتم عمل سرادق كبير يحضره مائة وخمسون من أفراد الجماعة، ويجلسون فى هذا (السرادق) ويقوم هذا

البلطجى ووالده بالمرور فى هذا (السرادق) أمام الناس جميعاً ويقبلون رأس كل فرد من أفراد الجماعة ويقولون: نحن متأسفين، كنوع من الإذلال أمام أهل الحى، الذين لم يكونوا مصدقين ما يحدث للفتوة والبلطجى الذى أرعبهم سنوات، يتم إذلاله وإهانته بهذا الشكل، بدون أن يتجرأ ويرفع صوته، أفراد الجماعات فى هذا الحى كانوا بمثابة آلة الردع للبلطجية وأصحاب السوابق.

تقابلت مع أحد سكان شارع همفرس وهو رجل أزهرى يقترب من سن الخمسين قال: إن الجماعات فى منتصف السبعينيات كانت نشطة جداً فى حى بولاق بالكامل، وكنت وقتها فى بادية دراستى الثانوية، هؤلاء الشباب استطاعوا أن يغيروا أشياء كثيرة فى هذا الحى، وخاصة شارع (همفرس) هذا الشارع كان به عدد كبير من تجار المخدرات، ولم يكن هناك محل (بقالة) لا يبيع البيرة والخمور المصنعة يدوياً، هؤلاء الشباب المتدين استطاعوا أن يقنعوا أصحاب هذه المحلات بالتوقف عن بيع هذه الخمور، وجعلوا بعض أولاد أصحاب هذه المحلات أن ينضموا إليهم، ولكنهم اصطدموا بتجار المخدرات، وكان وقتها الأقراص المخدرة ظاهرة جديدة على أهل حى بولاق، وأحدثت تدميراً لأعداد كبيرة من شباب الحى، واستطاعوا أن يحدوا من تجارة المخدرات، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء عليها تماماً، ولكن أجهزة الأمن قامت بهذا الدور، وقبضت على عدد كبير من تجار المخدرات وأعدمت عددا منهم، ولكن شباب الجماعة استطاعوا أن يقنعوا أصحاب الكوافيرات (حلاقى السيدات) من الرجال أن يغيروا نشاطهم من (حلاق سيدات) إلى (حلاق رجالى) وأقنعوهم بأن مهنتهم حرام.

فى هذا الوقت كانت الجوامع الكبيرة فى حى بولاق مقسمة فئات

جوامع خاصة بالإخوان المسلمين، فى شارع ناهيا وهمفرس، وتركيزهم كان منصب على الأولاد صغار السن، وخاصة من أبناء البسطاء والفقراء، وإن كان أغلب سكان الحى يعيشون تحت خط الفقر، الإخوان كان لهم أسلوب فى جذب الأولاد والشباب إليهم، من أهم عوامل الجذب أنهم خصصوا عددا كبيرا من شباب الإخوان المثقف، أن يتولوا تدريس بعض المواد الدراسية من المراحل المختلفة إبتدائى وإعدادى وثانوى لأبناء الحى، بدون مقابل، هذا شجع البسطاء على دفع أولادهم لهذه المساجد ليعلموا أولادهم، ولضيق ذات اليد فى إرسال أولادهم إلى المدرسين الخصوصيين الذين يطالبون بمقابل مادى كبير لا يستطيعون دفعه، الإخوان استطاعوا استغلال ثقة أهل الحى فى دفع أولادهم للتعلم فى مساجدهم، وبدأوا فى نشر أفكارهم لدى هؤلاء الطلاب من صغار السن، بجانب أن مساجد الإخوان تكون مكونة من عدة طوابق مثل (المسجد الجامع) ولكن بحجم أقل، ويخصصون طابقا من المسجد لعمل عيادات طبية لعلاج أهل الحى، وتكون تذكرة الطبيب بأقل مقابل مادى، وهناك من يقبله الطبيب ويكشف عليه ويعطيه الدواء بدون مقابل عندما يعلم أنه غير قادر، هذا الأسلوب الذى انتهجه الإخوان فى هذا الحى، جعل لهم مساحة كبيرة فى كل أحياء الحى المختلفة، من شارع همفرس وناهيا حتى حى صفط اللبن وحى ناهيا الكبير ومنطقة (أرض اللواء) التى يطلقون عليها حى المهندسين، لفخامة مبانيها وارتفاعها وثراء سكانها. بجانب أن الإخوان فى مساجدهم يختارون الخطباء الدارسين لشئون دينهم جيداً، وعندهم قدرة على التعامل مع كل الظروف عندما يشعرون أن الأمن يضايقهم، يلجأون إلى الأسلوب الهادئ، وتكون خطب المسجد فى يوم الجمعة مركزة على التعامل مع الجار والزوجة والأسرة بوجه عام، وعندما يشعرون أن لهم قوة وملتف

حولهم أعداد كبيرة يبدأون فى التحدث فى السياسة، ودفع الشباب للإنقلاب على النظام الحاكم، فالإخوان منظمون بدرجة كبيرة وعندهم قدرات غير عادية فى الوصول إلى أهدافهم.

جماعة الجهاد كان أسلوب جماعتهم يتم بالوضوح التام فى أهدافهم، حتى إن مشايخهم عندما يخطبون فى المسجد يوم الجمعة، كانوا يهاجمون النظام الحاكم والحكام العرب بأسلوب يتسم بالجهل والعنف، وأحياناً يهاجمون رئيس الدولة، ويذكرون أشياء دقيقة تكون أغلبها كذبا؛ لأن من يخطب لا يستطيع معرفتها، والذى ساعدهم على ذلك فى السبعينيات أن الرئيس (السادات) كان يرفض أن يتم اعتقال أى أفراد من جماعات العنف هذه بشهادة نائب رئيس أمن الدولة اللواء (فؤاد علام) العدو الأول لكل الجماعات الإسلامية فى كل أنحاء العالم، الشىء الملفت عندما يأتى شهر رمضان الكريم نجد انقسامات كبيرة فى المجتمع، الإخوان منظمون يجمعون الأموال والتبرعات العينية من التجار، ويبدأون فى عمل ما يسمى بشنطة رمضان التى تكون مكونة من (السمن والبلح والسكر والأرز والزيت) وكل ما تحتاجه أثناء الشهر الكريم الأسرة المصرية، وتذهب الشنطة مجاناً للفقراء من أهل الحى، ولكن جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية مشغولون بجمع السلاح وكل مظاهر القوة.

عندما تدخل حى (بولاق القديمة) تجد الفقر الحقيقى، مضايق لا تستطيع أن توصفها بأنها زقاق لأنها أقل من ذلك، هذه المضايق لا يزيد مساحتها عن نصف متر، حتى إن الأسر مكشوفة على بعض، أكثر سكان الحى من أسر تعيش فى غرفة واحدة، وهناك حمامات مشتركة، قد يصل عدد الأسرة فى هذه الغرفة إلى ثمانية أو عشرة أفراد، عندما تسير فى هذا الحى الصغير تجد الإهمال المتعمد من المحافظ ورئيس الحى،

المجارى تغرق الشوارع، وعندما تسد بلاعات الصرف الصحى تغرق غرف الأسر الساكنين فى الأدوار الأرضية، الأطفال يسيرون عرايا وبملابس بسيطة جداً، وتجدهم ملطخين بمياه المجارى، التى دائماً ما تجدها مغرقة الطرق والمنازل، الشباب المتعلم لا يجد مصروف الجيب الذى ينفق منه أثناء تواجده فى المدرسة أو الجامعة، هذا الفقر الحقيقى جعل أغلب شباب الحى يندفع وبدون تفكير فى الانضمام لجماعات العنف من الجهاد والجماعة الإسلامية، أولاد صغار السن محرومون من أبسط الأشياء، من مسكن يتكون من غرفة للبنات وغرفة للصبيان؛ لأنهم كفروا بكل شىء، لأنهم يعيشون فى غرفة واحدة، الأولاد والبنات مكشوفون على بعض، والأب والأم يمارسان الحقوق الشرعية فى الليل والأولاد يشاهدونهما بدون قصد، أولاد مدمرون نفسياً، وعرضة حقيقية لكل من يعطيهم المال لتنفيذ أفكاره، وهؤلاء الأولاد عاشوا عيشة بها قسوة وحرمان من كل مباهج الحياة، وأصبحوا فى حالة كرهية وقلوبهم مليئة بالحقد الطبقى، وهذا ليس ذنبهم، فهؤلاء الأولاد يفصلهم شريط قطار عن أهل حى المهندسين الراقى المنعمين، الأولاد الفقراء يشاهدون أطفالا أمثالهم يركبون أفخم السيارات، ويرتدون الملابس الأنيقة، وهم يعيشون فى غرفة واحدة، ورائحة المجارى القذرة لا تفارق أنفهم، عندما يقارن هؤلاء الأولاد بين معيشتهم ومعيشة أهل المهندسين يصابون بالإحباط والحقد يتملك منهم، ويبدأون يبحثون عن الوسيلة التى تجعلهم يعيشون نفس عيشة هؤلاء الأولاد المرفهين، هذا الخلل الطبقى، جعل معظم شباب (بولاق القديمة) ينضم إلى جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، حتى إن الشباب غير المنضم لجماعة (محمد عبد السلام فرج) تجده متعاطفا معه ضد الحكومة التى لم تقم بدورها فى توفير الخدمات البسيطة، من صرف

صحى جيد لا يفرق منازلهم، فى أعطائهم شققا يعيشون فيها بدلاً من الخرابات والغرف القذرة التى لا تليق بمعيشة الحيوانات، هؤلاء الأولاد وجدوا من يستغل طاقتهم الجبارة، ولكن فى أعمال إرهابية مدمرة للمجتمع، اللوم كل اللوم على المسؤولين الذين أهملوا هذه الأحياء وتركوهم عرضة لجماعات هدفها الاستيلاء على الحكم، ليكونوا رؤساء وزعماء دول يكون كبش الفداء هؤلاء الأولاد المحطمين، وهذا ما أثبتته الأيام، حتى إن زعماء هذه الجماعات وقت حسم كانوا مرفهين، ويعيش أولادهم وزوجاتهم فى أفخم المنازل، والضحايا هؤلاء الشباب، الذى صدق أن هؤلاء المشايخ المأجورين سيعوضونهم عن عيشة الفقر بحياة آدمية، ولكن هذا لم يحدث، وتدهورت حالتهم إلى الأسوأ، ومات منهم الكثير تحت مسمى الجهاد، وضاعت أزهى سنوات العمر فى السجن، تحت أوهام وآمال فى قادتهم الذين ضللوهم، ويعيشون الآن فى أوروبا وأمريكا منعمين، وهؤلاء الشباب المعدم من الفقر دفع الثمن، وخرجوا للحياة بعد معاناة السجن، ليجدوا الأب والأم والإخوة مدمرين بسبب الحزن الشديد على أبنائهم، الذين فقدوا كل شىء من أجل أهداف غير محددة، وفكر الشباب الذى عرف الحقيقة أن يبدأ حياة جديدة، ليعوض أسرته بعض ما فقدته، ولكنهم عانوا الكثيرمن أجل التأقلم مع المجتمع.

شاب بيكره السادات ولم يره

تقابلت مع شاب فى منتصف الثلاثينيات من العمر، هذا الشاب كما ذكر لى: أنه سجن لانتمائه إلى جماعة الجهاد، ولكنه لم يرتكب أى عملية عنف واحدة، ولذلك كانت فترة سجنه قصيرة، هذا الشاب عندما سألته لماذا انضممت لجماعة الجهاد؟

أخذ يتحدث كثيراً عن جماعة الجهاد وزعمائها، ولكنه لم يذكر لماذا

انضم إلى جماعة الجهاد، ولكن هذا الشاب متذبذب لا يعرف ما هو الصح؟ وما هو الخطأ؟

وجلسنا معاً فترات طويلة، وجدته لا يعرف الحقيقة، ولكنه مجروح بداخله، وأثناء المناقشات قال: من الخطأ الكبير أننا انتمينا إلى تنظيم!!

وقال: لماذا لا يقوم كل فرد منا بالدعوة إلى الله بمفرده، بدون أن يكون له أمير؟ الكل يدعو إلى الله من خلال علمه الذى يملكه، وقال: إن من الأشياء التى صدمتنى أن الولد الذى كنت أعتبره رئيساً للمجموعة المكونة من (٧٠٠ فرد) جاهل وقذر، وأخذ يسب هذا الولد الأمير بأسوأ الألفاظ وقال: هل تتصور أن من كنت أعتبره قدوة!! أكتشف أنه حاول عن طريق زوجته أن يقنع زوجتى بطلب الطلاق، وهذا الولد القذر الأمير كان متزوج من اثنتين، والشىء المؤسف أنه حاول كثيراً عن طريق زوجاته أن يمنع زوجتى من زيارتى فى السجن؟ والسبب أننى اكتشفت أنه جاهل ويعمل (سباك) هل تتصور أننا كنا نستمد علمنا من واحد (سباك) جاهل، هذا القذر الجاهل أخذ شهادات علمية عن طريق الغش فى الامتحانات أثناء فترة السجن، الشىء الذى أحزننى أن هذا الحيوان حاول كثيراً أن يسلط أحد أتباعه داخل السجن ليضربنى!! لولا أننى دافعت عن نفسى، من الخطأ أننا جميعاً لم نبحث عن عالم كبير نتعلم على يديه أصول الفقه والحديث وتفسير القرآن، ودراسة اللغة العربية بعمق، ولكننا وقعنا فى يد إنسان قذر كان أشد قسوة من السجان، كان بيكرهنى بشدة لأننى اكتشفت حقيقة موقفه، وأنه أفاق، وأن مصير العمل فى هذه الجماعة من أجل أن يكون له شأن وفى حقيقة الأمر هو لا يملك علما ولا دينا، وأن أى إنسان عادى أفضل منه بكثير، فهو كلب خدعنا كلنا منه لله، دمر حياتى هل تتصور أننى كنت العائل لوالدتى وإخوتى الصبيان والبنات، وكنت

أتكسب ألكثير من تجارتى، ولكنى بعد دخولى السجن خسرت كل أموالى، التى أنفقتها والدتى على إخوتى، وزاد الأمر سوءاً أن والدتى أصيبت بعدة أمراض مزمنة من حزنها على سجنى، وتداينت من كل الناس، من أجل أن تنفق على إخوتى وعلى زياراتى فى السجن، كل هذه المصائب تسببت فيها أنا بجهلى وانتمائى لهذه المجموعة المجرمة، وأن كنت أحمل كل مسئولى الدولة كل ما حدث بالنسبة لى، ولكثير من الشباب، أكبر جريمة تدمر المجتمع عندما تغييب العدالة.

عندما سألته عن رأيه فى الرئيس السادات:

قال أشياء كثيرة فيها مغالطات ضد الرئيس (السادات) منها أنه لم يكن منحازا للدعوة الإسلامية، ورددت عليه أن السادات كان منحازا للتيار الإسلامى وقال هذا الكلام فى خطاب رسمى، وأن كثيراً من المتطرفين من اليساريين كانوا يهاجمون الرئيس (السادات): لأنه كان ينحاز للتيار الدينى، وللفكر الإسلامى الرشيد الوسط، وذكرت له أن (السادات) هو الذى أخرج الإخوان من السجون، وأعطاهم الفرصة كاملة للعمل فى الجامعات والمصالح الحكومية والجوامع بكل حرية، بل إن الرئيس (السادات) قام باعتقال كل الشيوعيين والمتطرفين من اليساريين من أجل التيار الإسلامى، ولكن الجماعات الإسلامية بما فيها جماعة الإخوان المسلمين حاولوا اغتيال الرئيس السادات؟ فى عملية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ بقيادة (صالح سرية) الفلسطينى الجنسية والمنتمى لجماعة الإخوان، أى حاولوا قتل الرجل الذى ساعدهم بعد خروجهم من السجن بثلاث سنوات، ومع ذلك (السادات) ترك الإخوان وكل الجماعات تعمل بدون أى اعتقالات.

فقال هذا الشاب الصغير الذى لم ير الرئيس (السادات): أنه عمل

هذه الأشياء من أجل مصلحته الشخصية!! فكان ردى أن هؤلاء الجماعات لو كانوا يريدون إصلاح المجتمع كما يدعون، وأنهم يريدون أن تكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الكافرين هى السفلى، لعملوا على نشر الفكر الإسلامى الصحيح، واستغلوا المظلة التى أوجدها الرئيس السادات لحمايتهم، ومحاربته لكل الشيوعيين واليساريين المتطرفين فى الجامعات، ولكنهم للأسف حاولوا قتله؟ وأن يستولوا على الحكم!! إن هؤلاء يريدون الحكم ولا يريدون نشر الفكر الإسلامى الصحيح، هذا الشاب المتذبذب، وجدته يقول: إن هناك الكثير من أفراد الجماعة داخل السجن كانوا يقولون نفس كلامك، ولكن كان يجب على الرئيس (السادات) أن يأتى بعلماء كبار ليجلسوا مع هؤلاء الشباب المتحمس ويناقشهم ويعلمهم!! وقال: من الخطأ الكبير أننا كجماعة لم نذهب للعلماء، إنما ذهبنا للجهلاء!!

هذا الشاب ولد بعد موت الرئيس (السادات) بسنوات، أى أنه لم يعاصر عهده، إنما استقى أفكاره من عتاة الإجرام من جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، أمثال (عبود الزمر) الذى يطلقون عليه لقب الشيخ الكبير مع أنه (خائن) للأمانة، وكان يستحق الإعدام، وأذكر أننى حين تناقشت مع اللواء (فؤاد علام) الذى قام بالتحقيق فى قضية مقتل الرئيس (السادات) حول لماذا لم يتم إعدام (عبود الزمر) وهو رجل عسكرى برتبة مقدم، وكان يعلم بمقتل رئيسه وأنه شارك فى التخطيط والتدبير لقتل رئيسه وقائده وتم إدانته، وهذا فى العسكرية يسمى (بالخائن) ويتم عمل محاكمة عسكرية ويعدم رمياً بالرصاص وجدت اللواء (فؤاد علام) موافقنى فى الرأى!! ولكن لم نعرف لماذا لم تحكم المحكمة بإعدامه بتهمة الخيانة؟ حتى الآن الأمر غير معروف!! ومع ذلك ما زال (عبود الزمر) يشوه صورة رجل من أشجع رجال مصر فى تاريخها

الحديث، ويسمم أفكار شباب لم ير الرئيس (السادات)، ولكن عندما يقرأ هؤلاء الشباب عن تاريخ (السادات) العظيم، يعرفون أن (عبود الزمر) وأتباعه كانوا على خطأ، وكانوا مجرمين، أجرموا فى حق مصر، وفى حق رجل عاش من أجل شعب مصر، وإنجازاته لا تعد ولا تحصى، يكفى هذا الرجل الشجاع (السادات) أنه الوحيد الذى هزم اليهود فى العصر الحديث، هذا الشاب الصغير، حين قابلته مرة أخرى قال لى كلاما غريبا يدل على أنه بدأ يتطهر من داخله؟ فمن ضمن ما قال: إن الرئيس السادات عقلية عسكرية جبارة، فهو استطاع أن يقنع القادة العسكريين بتكوين جيش قوى وتكوين خمسة كتائب (كمندوز) دورها تحرير سيناء، وأعطى إسرائيل درسا كبيرا فى حرب أكتوبر؟ وكان باستطاعته أن يدخل تل أبيب؟ أنا هنا لا أعلق على تكوين الجيش، ولكن أنا أعلق على أن هذا الشاب بعد ما بدأ يهدأ، وابتعد عن زعماء السوء من أمثال (الزمر) بدأ يعرف الحقيقة أن (السادات) كان رجلا عظيما، وأن هؤلاء المجرمين الذين قاموا بقتله أخطأوا فى حق مصر، وفى حق شعب مصر.

القاهرة كلها تصلى

عندما تجولت فى حى (بولاق القديمة) تعرفت برجل فى الخمسينيات من عمره يعمل مدرسا تارك لحيته حالق الشنب، متدين لدرجة أن تستطيع أن توصفه بالرجل المؤمن التقى، يمتلك ثقافة واسعة فى شتى مجالات المعرفة، تحدثت معه فى الفنون بأنواعها، وجدته يبادلنى الحديث ويذكر أشياء لم أكن أعرفها عن الفنانين والمطربين والفرق الروسية التى كانت تزور مصر فى الستينيات، حديثه به قدر كبير من المعرفة، ويمتلك وجهة نظر فى كل شىء، فهو رجل متفتح وعنده سعة صدر، ويتحدث فى السياسة والتاريخ والرياضة بشىء يدل على ثقافته الواسعة هذا الرجل

سألته عن رأيه فيما أحدثه (محمد عبد السلام فرج) وجماعته فى المجتمع بحكم معرفته بهؤلاء مثله مثل أى فرد من سكان الحى؟

قال: عندما بدأت تنتشر الجماعات فى (حى بولاق القديمة) كنت وقتها عمرى تقريباً ١٧ عاماً بعد انتهائى من دراسة الثانوية العامة والاستعداد لدخول الجامعة، أنا بحكم تربيتى نشأت منذ طفولتى على المواظبة على أداء الصلاة فى المسجد مع والدى، وكل أفراد أسرتنا متدينة، والبنات مرتديات للحجاب، قبل ظهور هؤلاء الشباب أمثال (محمد عبد السلام فرج) وأتباعه. ووالدى كان حريص على تحفيظى القرآن الكريم منذ الطفولة، وهذا شجعنى على القراءة للعلماء الأفاضل فى الفقه والحديث، وكتب السيرة، هذه النشأة أعطتنى القدرة على رؤية الأشياء بالشكل الصحيح.

عندما انتشرت الجماعات فى الحى، وبدأ أفرادها فى دعوة الشباب للصلاة معهم فى مسجدهم رفضت دعوتهم المباشرة، ولكن لحب المعرفة ذهبت لسماع خطبة الجمعة وكان الخطيب هو (محمد عبد السلام فرج) فوجدت معظم كلامه فى السياسة وهجوما على (السادات) والحكومة، ولم يتحدث فى الدين وأخلاقيات المسلم.

وبعد الخطبة تناقشت مع أحد أفراد الجماعة، وسألته لماذا لا تكون خطبة الجمعة عن تربية المسلم التربية الصحيحة، ونحاول أن نربى جيلا جديدا يعرف شؤون دينه بجانب تشجيعهم على العلم والحصول على أعلى المؤهلات، ليصبحوا نواة لمجتمع صالح، ونترك هؤلاء النشء من الشباب ليقود المجتمع بدون أن نجعله منتميا لجماعة بعينها، وذكرت لهذا الفرد المنتمى لجماعة (محمد عبد السلام) أن الناس أكثرهم لا يصلون، وكثيرا

من أفراد المجتمع لا يعرف كيف يصلى صلاة صحيحة، ولكنى وجدت كلامى لا يعجب هذا الإنسان المنتمى للجماعة. وجدته يتحدث عن الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأن تكون الحكومة لا تطبق شرع الله، وهناك لصوص فى مواقع المسئولية، ويجب أن نحكم البلد، رددت عليه بهدوء لامتصاص انفعاله، فهو كان من نفس عمره تقريباً، وقلت: أنتم تريدون أن تقيموا الخلافة الإسلامية وأكثر من سبعين فى المائة من الشعب لا يصلى!! وهناك الكثير من الناس لا يدخل المسجد غير يوم الجمعة، لماذا التسرع فى إقامة دولة الخلافة؟ هل من المعقول أن تفرض الشريعة الإسلامية على الناس بالقوة والعنف؟ أم الأفضل أن تسعى الجماعة وكل إنسان فى الدعوة إلى معرفة تعاليم الإسلام ويصبح هناك مجتمع إسلامى بدون عنف ولا ثورة، وعندما يدخل هذا الشباب المتدين الجامعة سيتخرج منهم القاضى الشريف والضابط المحترم والطبيب والمحامى والصانع المسلم الذين يقودون المجتمع وسنجد كل منشأة حكومية من يتولى قيادتها رجل معدود إعدادا جيدا، فوجدت كلامى لا يعجبه، ومن وقتها لم أكرر زيارتى لهذا المسجد، الذى كان يخطب فيه (محمد عبد السلام فرج، عبود الزمر) سألت الشيخ التقى ما تقيمك لهذه الفترة بحكم احتكاكك بالمجتمع والجماعات؟ فى فترة السبعينيات.

بعد دخولى الجامعة، بدأت تظهر الجماعات فى كل مكان من الجامعة وفى حى (بولاق الدكرور) بالكامل من إخوان مسلمين وجماعات الجهاد والجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ والدعوة، كل هذه التيارات المختلفة لم أنضم إليها لأننى أعرف أهدافهم، وإن إصلاح المجتمع ليس الهدف الأساسى لديهم، فى هذا الوقت كانت المساجد بمختلف تياراتها مليئة بالمصلين، كل جماعة تذهب إلى المساجد التابعة لهم، ولا يذهبون للصلاة

مع الجماعة الأخرى، والعجيب أن كل الجماعات كانت مختلفة مع بعضها البعض فى كل شىء، وهل هذا يعقل أن تكون هيئتك إسلامية وميولك وأهدافك سياسية بالدرجة الأولى!!

من الأخطاء الكبيرة التى ارتكبتها هذه الجماعات فى (حى بولاق الدكرور) بوجه عام أنهم دمروا ثورة إسلامية حقيقية كانت ستقام بدون عنف، وبدون زعماء مزيفين؟ هذه الثورة التى أتحدث عنها ليست ثورة بالصورة المعروفة لدى أصحاب السياسة!! إنما المقصود أن هناك تغيرات حدثت فى المجتمع، بدأت تنتشر ظاهرة الحجاب بشكل كبير، وبدأت تختفى ملابس المكروجيب والملابس العارية، فى هذه الفترة بعد منتصف السبعينيات، تحولت المساجد إلى تجمعات ضخمة من المصلين، كل شيخ له مريدوه، كان أعداد كبيرة من أهالى (بولاق الدكرور) قد يصل عددهم إلى الآلاف يذهبون للصلاة فى مسجد (أنس بن مالك) وهذا المسجد يقع فى حى المهندسين الراقى القريب من حى (بولاق الدكرور) ويفصله عنه شريط القطار، هذا المسجد كان موضع جذب لكل الجماعات المختلفة ولكل متدين، وهذا يعود لخطيب المسجد الشيخ والعلامة الكبير (إبراهيم عزت) وهو كان رجل تقيا يتحدث فى شئون الدين بكل وضوح ويتحدث عن الأوضاع فى المجتمع بوجه عام. وما يميزه عدم انتمائه لأى جماعة سياسية، إنما يريد نشر القيم الإسلامية الصحيحة فى المجتمع. هذا الشيخ كان المسؤول عن أفواج الحجاج كل عام، من الأشياء التى أذكرها لهذا الشيخ الجليل أنه كان يرى الرسول محمدا (ﷺ) كل يوم فى المنام، استطاع أن يهدى آلافا من الشباب إلى المواظبة على الصلاة، وكان معظم مريدوه من أهالى بولاق الدكرور، وفى إحدى خطب الشيخ دعا الله أن بعد موته يدفن فى البقيع فى السعودية، بجوار الصحابة والرسول محمد

(ﷺ) ويشاء الله أن يتقبل دعاء الشيخ، ويموت فى رحلة الحج، ويدفن فى البقيع بجوار الرسول محمد (ﷺ) بعد موت هذا الشيخ الكبير (إبراهيم عزت) بدأ الشباب المنتمى للجماعات المختلفة فى العودة مرة أخرى للذهاب إلى فضيلة الشيخ (كشك) رحمة الله عليه، هذا العالم الجليل ذو العلم الفياض، والملكة التى يأتى بها كل من يستمع إلى خطبه وعلمه، فى مسجد (الملك) بحدائق القبة، كان يخطب الشيخ (كشك) خطبه تاريخية لا يستطيع أحد غيره أن يقولها، فهو خطيب مفوة، وعنده علم غزير، وهو أستاذ الشيخ (إبراهيم عزت) كان يحضر خطبة يوم الجمعة أكثر من مائة ألف مصلى فى حراسة الأمن، هذا الداعية العظيم برغم حديثه فى الدين بشكل عميق، ولكنه كان يتحدث فى السياسة فى جرأة كبيرة وهذا ما كان يعرضه للإعتقال، ولكن فترات اعتقاله كانت بسيطة لا تزيد عن أسبوع ويعود ويخطب مرة أخرى فى نفس المسجد وفى حراسة الأمن، فى الحقيقة أن الجو كان مهيأ بحماية الجهات السياسة وتحت حماية الرئيس (السادات) لثورة إسلامية بيضاء؟ وكما ذكرت ليس هدفها الحكم، وإنما هدفها تغيير نفوس وأخلاقيات الناس، الشيخ (كشك) كان مجروحا من فترات الاعتقال الطويلة فى فترة حكم الرئيس عبد الناصر، وما تعرض له من تعذيب، ولكن فى فترة حكم الرئيس السادات بشهادة كل من تم اعتقاله لم يكن هناك تعذيب، إنما كان الغرض من الاعتقال المنع لفترات، وللحقيقة أن المد الإسلامى الذى حدث فى فترة السبعينيات لم يحدث من خمسمائة عام، وكان وراءه رجل مسلم اسمه الرئيس (محمد أنور السادات) رجل مؤمن، ويعرف الله بحق ولذلك نصره الله فى حرب أكتوبر، وفى تحويل شباب مصر إلى المشاركة فى السياسة بكل صورها، ووجدنا حركة فكرية حقيقية لم تحدث من قبل.

شياطين جهنم قتلوا السادات!!

هذا الرجل التقى يرى أن فى الوقت الذى كان يذهب إلى فضيلة الشيخ (كشك) مئات الآلاف، كان هناك فى (بولاق الدكرور) شيخ شاب وقتها اسمه الدكتور (عمر عبد الكافى) هذا الشاب استطاع أن يجذب الناس حوله، فى خطب الجمعة والدروس، التى كان يلقيها فى يومى الأثنين والخميس فى مسجده الذى يقع فى شارع (عمان) الذى يقع فى حى المهندسين المواجه لشارع همفرس، ويفصله شريط القطار، هذا الشيخ الشاب لا ينتمى لأى تيارات من اجماعات، واستطاع أن يجذب تقريباً كل أهالى (بولاق الدكرور) وأحياناً تصل الأعداد التى تحضر خطبة الجمعة إلى أكثر من (ربع مليون نسمة) عندما كان يخطب فى مسجد (أسد بن الفرات) فى ميدان الدقى الراقى. المرور يتوقف تماماً؛ لأن الشوارع المجاورة للمسجد تفرش بالحصر لتستوعب المصلين من أهالى (بولاق الدكرور) من الرجال والأطفال والسيدات بخلاف الشيخ (عمر عبدالكافى) هناك الدكتور (عبد الصبور شاهين) وكان يحضر خطبته آلاف من أهالى حى (بولاق الدكرور) الشىء الذى أحب أن أقوله أن فترة حكم الرئيس (السادات) كانت المساجد مليئة بالآلاف بدون تدخل من الأمن، وبدأت الناس تعيش فى بيوتها حياة إسلامية، بدون فرض من الدولة، ولكن عن قناعة، ويرجع للدور الذى قام به الدعاة الأفاضل، ولذلك دائماً أقول: إن من فكر فى قتل الرئيس (السادات) شيطان من جهنم، هذه الفكرة المجرمة، لم يتوصل إليها (اليهود) أعداء الله، قتل (السادات) كانت بمثابة ضربة فى مقتل لوقف نشر الفكر الإسلامى الصحيح، وانتشار أفكار القتلة والسعاة للحكم، قتل (السادات) أكبر جريمة فى حق كل مسلم واع محب لدينه أتذكر عندما كنت أذهب إلى الجامعة، أجد أعدادا كبيرة من البنات

المتبرجات، وكنت أشاهدهم يرتدون الملابس العارية والبنطلونات (الجينز) الضيقة وجدتهم يتغيرون، ويرتدون الحجاب ويذهبون إلى مسجد الكلية بأعداد كبيرة، كذلك الصبيان بدأ الوازع الدينى لديهم يزيد، وبدأ الطلاب يتحدثون عن شئون دينهم، ولكن الشىء الذى أحدث مشاكل فى الجامعة، هو الصدام الذى حدث بين الشباب المنتمى (للإخوان المسلمين وجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية) من جهة والطلاب المنتمين للتيارات الشيوعية واليسارية المتطرفة والطلاب المنتمين للتيار الناصرى الكارهين لجماعة الإخوان المسلمين بالتحديد لعلمهم بكراهيتهم للرئيس عبد الناصر، هذه المصادمات أحدثت ثورة فكرية ثقافية داخل الجامعة، الجماعات اليسارية والشيوعيون كان يساندهم كتاب ومفكرون، ينتمون لنفس فكرهم، أثناء عقدهم الندوات ومع الوقت بدأت التيارات الإسلامية تستعين بمفكرين وكتاب إسلاميين ليساندوهم فى المناظرات والندوات، التى تجمع التيار الإسلامى والتيارات اليسارية والشيوعية، وكانت الندوات يحضرها أعداد كبيرة من الطلاب وتتابعها الصحف والمجلات وتنشرها بالتفصيل، أثناء الندوات الطلاب يطرحون الأسئلة، إنما الذى يتحدث عن كل تيار المفكر والكاتب المنتمى لهذا التيار، ويتحول الطلاب إلى مستمعين، ومع الوقت بدأت تظهر الكوادر فى التيارات الإسلامية من الطلاب وأصبحوا يناقشون اليساريين والشيوعيين بقوة، هؤلاء الطلاب المنتمون للتيارات الإسلامية كانت تساندهم الأجهزة الأمنية، وهذا ما حدث فى إحدى الندوات التى جمعت التيارين الإسلامى واليسارى، والشيوعيين والناصريين، تشابك الطلاب من التيارات المختلفة بالأيدى والكراسى، شاهدت بعض الشباب الغريب عن الجامعة يضرب الطلاب الشيوعيين واليساريين المتطرفين بعنف شديد، وجاءت عربات الإسعاف ونقلت هؤلاء الطلاب المصابين إلى

المستشفى، عرفت بعد ذلك أن من قام بضرب هؤلاء الطلاب ينتمون إلى الأمن؟ وبدأنا مع الوقت نشاهد استبعاد الأساتذة المنتمين للتيارات الشيوعية من الجامعة؟ وأتذكر وقتها أن الرئيس (السادات) قد خطب خطابا شهيرا وأعلن فيه أن فى عهده لن يتولى أى شيوعى منصب فى الدولة طول ما أنا عايش، هذا 'لتصريح للرئيس (السادات) جعلنى أشعر بأن القيادة السياسية تساند التيار الإسلامى بكل الوسائل؟ ربما يكون الغرض من وراء هذه المساندة أهدافا سياسية للقضاء على الشيوعيين والتيار الناصرى؟ ولكن كان له فائدة على المجتمع، من الناحية الأخلاقية، فتحول المجتمع إلى الأفضل، فى الستينيات المساجد فى حى (بولاق الدكرور) كان لا يدخلها إلا كبار السن، وتجد فى المسجد ثلاثة أو أربعة، وكان كل وسائل الإعلام المسيطر عليها الشيوعيون والمتطرفون من اليساريين، وكانت الشيوعية موضة ولها أتباع مؤثرون فى المجتمع، عندما ظهرت التيارات الإسلامية فى اسبعينيات بدأ الشباب يذهب إلى المسجد لتأدية الصلاة فى وقتها وبأعداد كبيرة، هل تتصور أن البنات فى نهار رمضان فى كافتيريا الجامعة، كنا نشاهدهن يجلسن ويضعن قدما فوق قدم وملابسهم الداخلية واضحة ويدخن السجائر، وعندما نسألهن لماذا لا تصومن ويجب عليكن احترام مشاعر الآخرين؟ كان ردهن بكل بساطة هذه حرية شخصية؟ هؤلاء البنات المنتميات للتيار الشيوعى، كن يتصرفن بحرية بنات الغرب وعدد كبير منهن كن يمارسن الجنس مع زملائهن من نفس التيار الشيوعى، بعقود عرفية بدون علم ذويهم، ومنهن المدمنات للخمور، بنات منحرفات، وهذا جعلنى دائماً من أشد المعجبين بالرئيس (السادات) لأن فى عهده أتاح 'لفرصة لأصحاب القيم والمتدينين أن يأخذوا فرصتهم فى تولى المراكز القيادية، حتى أن وزير الإعلام فى

السبعينيات كان منتمى للإخوان المسلمين!!

وهذا ما جعلنى أختلف مع أحد أعضاء جماعة (الجهاد) عندما قال: إن (السادات) قام بمساندة التيارات الإسلامية، من أجل مصلحته السياسية للقضاء على أعدائه من الشيوعيين والناصريين؟

لو سلمنا بأن (السادات) قام بهذا من أجل مصالح سياسية، ولكن يجب أن ننظر إلى ما حدث على أرض الواقع، وجدنا مجتمعا يتغير، وبدأنا نرى الحجاب والنقاب وتعود مصر للإسلام مرة أخرى، بعد أن سيطرت على مصر الشيوعية، وأخلاقيات الغرب، والانحلال، ولكن (السادات) لم يكن مطلوب منه أن يؤدب الشعب، إنما هو عمل ما عليه، وأعطى مظلة لحماية الإسلاميين، ووجدنا مصانع ومشاريع عملاقة، أصحابها شخصيات منتمية للجماعات الإسلامية ووجدنا القيادة السياسية تقرب لديها الشخصيات ذات الميول الإسلامية، ولها علاقة وطيدة بجماعة الإخوان المسلمين مثل المهندس (عثمان أحمد عثمان) الذى تولى معظم المشاريع العمرانية فى مصر، وأصبح له شركات مختلفة ولعب دوراً كبيراً فى انتشار المدن الجديدة، والكبارى العملاقة، كل هذا تم بمساعدة (السادات) إنما الجماعات كانت تريد الانتقام من قادة ثورة يوليو، وما فعله (عبد الناصر) معهم، ولو كانوا استغلوا فترة وجود (السادات) فى الحكم وظلوا فى الدعوة المنظمة للإسلام لتغيرت الخريطة السياسية، إنما هؤلاء كانوا يريدون الحكم ولم يكن بينهم حكماء، إنما كان بينهم شباب متحمس مضلَّل مسمَّم أفكاره، ضد كل قادة ثورة يوليو، ولم يستطيعوا أن يستوعبوا التغيرات التى أحدثها (السادات) فى المجتمع، لم يستوعبوا أن البوليس السياسى الذى كان يحكم فى فترة (عبد الناصر) اختفى تماماً فى عهد الرئيس (السادات) وأن فترة الاعتقال فى عهد

(السادات) كانت بسيطة وبدون إهدار للآدمية، وتكون الأسماء المعتقلة معلنة فى الصحف والإعلام، بعكس ما كان يحدث فى فترة حكم (عبدالناصر) المعتقل لا يعرف أهله لماذا تم اعتقاله ولا يعرفون أين يوجد؟ بخلاف التعذيب والإذلال وهذا ما تم كشفه فى ثورة التصحيح عام ١٩٧١، التى أعلنها (السادات) وقدم الشخصيات المتورطة فى مراكز القوى للمحاكمة، وكان على رأس هؤلاء الطغاة وزير الداخلية (شعراوى جمعة) الذى حبس لمدة عشر سنوات لتورطه فى تعذيب وإذلال الآلاف من المصريين الشرفاء. كل هذه الأعمال الكبيرة التى قام بها الزعيم (السادات) لخلق مجتمع أفضل، وكانت النتيجة انتصار مصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، بدأ المصريون فى الذهاب إلى الخليج للعمل هناك من أجل مستقبل أفضل، بدأت فترة الانفتاح، وهى تجربة بها إيجابيات وسلبيات، ولكنها كانت مهمة لأن الناس كانوا لا يملكون شيئا، ونسبة البطالة كبيرة، هذا الانفتاح جعل البلد كلها تعمل واتجه الشباب للأعمال الحرة، وكثيراً من الشباب الحاصل على المؤهلات الجامعية بدأ يتجه للعمل فى التجارة، وآخرين اتجهوا لتعلم الحرف، وبدأ الشباب يهجر الوظيفة الحكومية!!

ثلاث مدن أحياها الانفتاح!!

هذا الرجل التقى شديد الثقافة يرى: أن فترة الانفتاح، كانت بمثابة فرصة ذهبية لأهالى مدن القناة (الإسماعيلية والسويس وبور سعيد) هذه المدن عانت كثيراً من ويلات الحروب التى دارت بين مصر والعدو اليهودى الإسرائيلى فقدوا الرجال والشباب والأطفال والسيدات، بجانب فقدهم لبيوتهم وأموالهم بسبب هجرتهم الدائمة أثناء كل حرب، إلى مدينتى القاهرة والجيزة بحثاً عن الأمان. فى فترات الهجرة تعرضوا لأزمات كبيرة بحثاً عن شقق تأويهم، ويضطرون لقبول المعيشة فى مستوى أقل بكثير

مما كانوا عليه فى مدنهم، ولذلك عندما حدث الانفتاح، وتحولت بورسعيد لمنطقة حرة لاستيراد أحدث الملابس والأدوات الكهربائية من الغرب بأسعار رخيصة، ثم يبيعونها للباحثين عن الأناقة والمظهر الجيد من سكان المدن الأخرى، فوجدنا الأولاد من صغار السن فى فترة السبعينيات يكسبون فى اليوم الواحد أكثر من مائة جنيه وهذا مبلغ كبير فى ذلك الوقت، ولكن على الجانب الآخر سافر الآلاف من المصريين فى شتى مجالات الحياة، للعمل فى الخليج من مدرسين وأطباء ومحامين وأصحاب الحرف اليدوية من الصناع، واستطاع هؤلاء المسافرون إلى الخليج، أن يوفروا لأسرهم مستوى معيشة أفضل بكثير مما كانوا عليه، ومع سفر العمال والصناع المهرة لدول النفط فى الخليج، تركوا فرص عمل لعدد كبير من الصناع للعمل بحرية، ويرفعون من أجورهم، فأصبح دخل الصناع فى مصر يوازى دخل الصناع فى الخليج، وبالتالى زادت السيولة وعملية الشراء فى الأسواق كانت فى أزهى عصورها.

صحيح أن عصر الانفتاح خلق طبقة من الحرامية واللصوص الكبار، عانت منهم مصر لفترات طويلة، وهذا ليس عيب الانفتاح، ولكن عيب الناس أنفسهم؛ لأنهم نسوا ربهم وضمائرهم ماتت، وليس من المعقول أن نحاسب الرئيس (السادات) على أخلاقيات أناس من شعبه، ولكن عندما ننظر إلى الانفتاح الاقتصادى بصورة أعمق نجد أن كثيراً من الشباب بدأ يرفض أن يتم تعيينه فى الحكومة كموظف، وفضلوا العمل الحر، وإقامة المشاريع الصغيرة من محلات وبوتيكات، وهناك من قام بعمل مزارع للدواجن، وهناك من قام بعمل ورش صناعية كبيرة، وهناك من اتجه للزراعة، اتخلقت طبقة جديدة عندها طموحات، ولكن اللصوص موجودون فى كل عصر وهذا ما جعل أعداء (السادات) وخاصة الشيوعيين

واليساريين المتطرفين بأن يركزوا على اللصوص الكبار، ولم يشيروا إلى ارتفاع مستوى المعيشة فى المجتمع المصرى، وخاصة الفئة المهدرة حقوقها من العمال والحرفيين، الذين عاشوا أزهى عصورهم فى فترة السبعينيات فترة الانفتاح غيرت كثيراً من أخلاقيات المجتمع، مع زيادة دخل الحرفيين بدأت بعض الأسر تفضل الصانع ذا الدخل الكبير، أن يكون زوجاً لابنتهم، ويرفضون الشاب خريج الجامعة المثقف ذا الدخل المحدود، هذا ما جعل البنات المثقفات تتعرضين لمشاكل كبيرة، بعد قبولها للزوج الحرفى المقتدر مادياً، لفارق الثقافة، وتصل الأمور فى كثير من مثل هذه الزيجات إلى الطلاق لاستحالة العشرة بينهم، ويكون الضحايا هم الأولاد، هذا الخلل الاجتماعى ألصقه بعض كارهى الرئيس (السادات) للإنفتاح، أقول لهم: أنكم مخطئون؛ لأن الأسر هى التى أخطأت عندما فضلت المال على العلم والثقافة، ولكن يجب أن نذكر للإنفتاح الاقتصادى الفضل بأن جعل الصناع وأصحاب الحرف يصرون على تعليم أولادهم فى أفضل المدارس والجامعات، ومنهم من أصبح أستاذا فى الجامعة، وكثيرون أصبحوا أطباء مشهورين وأصحاب مستشفيات كبرى، وهناك كثير من أصحاب التوكيلات للسيارات والمعدات الثقيلة، تحولوا إلى إنشاء مصانع وأفرع رئيسية لهذه الشركات، فى مصر وعمل بها أعداد كبيرة من العمال والمهندسين والفنيين المصريين!!

ولا أنسى أبداً زيارة الرئيس (السادات) إلى مدينة الإسماعيلية، وتصريحه فى التليفزيون أثناء الزيارة أنه فى غاية السعادة أن يصبح أهالى مدن القناة من أغنى الناس فى مصر، وعلل سعادته بأن هؤلاء الناس عانوا كثيراً من ويلات الحروب، ويجب أن ينعموا بخير السلام.

أنا لا أقول أن عصر الرئيس (السادات) كله إيجابيات بدون سلبيات إنما إيجابيات هذا الرجل العظيم كبيرة ومؤثرة فى مصر، وأحدث تغيرات

كبيرة، كان من الصعب أن تتغير إلا بوجود رجل قوى يمتلك رؤية وشجاعة وقوة وخبرة مثل هذا الزعيم (محمد أنور السادات).

فى هذا الحى (بولاق الدكرور) معظم شبابه وكبار السن مشغولون بالسياسة ولكن النزعة الدينية غالبة على آرائهم، وعندهم خبرات كبيرة بالجماعات الإسلامية المختلفة، بحكم معايشتهم لآلاف من عناصر الجماعات، لا تجد شارعا جانبيا فى حى (بولاق الدكرور) إلا فيه شاب سجن أو تم اعتقاله، لانتمائه إلى إحدى الجماعات الإسلامية، أسر كثيرة دمرت فى هذا الحى، بسبب فقدهم لزهرة شبابهم فى السجون تقابلت مع رجل فى الخمسينيات من العمر، هذا الرجل يقيم فى شارع همفرس، وهو أحد أهم شوارع (بولاق الدكرور) على الإطلاق، الذى يسكن فيه أعداد كبيرة من أسر شباب الجماعات الإسلامية المختلفة، هذا الرجل بيكره كل من له صلة بالأمن رفض أن يقول السبب، إنما حين أسأله عن رأيه فى الجماعات الإسلامية المختلفة؟ بحكم مولده ونشأته فى هذا الحى ذات الأرض الخصبة لكل جماعات العنف. يرى أن من الأخطاء التى وقع فيها الأمن، وهى سبب زيادة المشكلة من البداية، عندما كان يتم اعتقال شاب صغير عمره (١٧ عاما) أو أكثر قليلاً بحكم انضمامه لإحدى الجماعات، هذا الولد ليس عنده ثقافة أو خبرة بالسياسة، ويتم اعتقال هذا الولد، ويعيش سنوات مع أعتى الجماعات القدامى، ويتم تلقينه بالمعلومات الخطأ، ويملؤونه بالكراهية ضد كل من ينتمى لثورة يوليو ١٩٥٢، هذا الولد لم ير (عبد الناصر) ولم يعاصر الرئيس (السادات) وهو غير مدرك للأوضاع ويتحول هذا الولد الذى سمع عن تعذيب فلان فى عهد (عبد الناصر)، إلى كاره لعبد الناصر بالكامل، بدون أن يعرف لماذا تم اعتقال هذا الرجل؟ ولماذا تم تعذيبه؟ ولو كان هذا حدث فى عهد

(عبدالناصر) فلماذا تكره الرئيس (اسادات) ويتحول هذ الولد إلى قنبلة موقوتة، وعندما نستعرض كل محاولات الاغتيال لكل الشخصيات الكبيرة المسئولة فى مصر، قام بتنفيذها شباب صغير السن، إذا جلست معه، وسألته لماذا قتلت هذا المسئول؟ ستجده يردد كلاما لم يعاصره، ويتحدث بلسان (الأمير) ويتحول هذا الولد البرىء الذى تم تضليله وغسل مخه، إلى مجرم وقاتل بالرغم أنه برىء، والسبب الإهمال والخطأ الذى ارتكبه الأمن فى تصنيف المحرمين؟ ولم يدركوا الخطورة عندما يدخلون طفلا ارتكب خطأ تحت تأثير رجال متخصصين فى غسل عقول الشباب، وعندما يجدوا ولدا صغيرا فى السن يبدأون فى تلقينه المعلومات عن كل شخصيات ثورة يوليو ١٩٥٢، وما فعله (عبد الناصر) فى كل قيادات الإخوان وهذا الولد يسمع من طرف واحد، ومع فترات السجن الطويلة، يصبح هناك ألفة وحميمية كبيرة بين هذا الولد والشيوخ الكبار، وبالتالى يتحول الشيخ إلى مثل وكل ما يقوله صدق، ولا يقبل المناقشة، أنا كنت أتمنى فى هذه الفترة ن يتم وضع هؤلاء الشباب صغير السن، فى سجون خاصة بهم، ويجلس معهم مشايخ وعلماء أفاضل يحاورونهم لتصحيح أفكارهم، ويكون من ضمن المحاورين مجموعة من المسئولين بالدولة، لمعرفة الأخطاء التى وقعت فيها الحكومة، ويكتبون تقارير بتصحيح هذه الأخطاء، لو حدث هذ لاستطاعت الدولة أن توجه ضربات إجهاضية قوية لهذه الجماعات، وتحويل الشباب الصغير ذى الطاقة والحيوية المتدين، من جنود وقتلة فى صفوف الجماعات العنيفة، إلى شباب قادر على العطاء والتفوق فى شتى مجالات الحياة؛ لأن هؤلاء الشباب يمتلكون العقيدة القوية، التى تجعلهم يخلصون فى أعمالهم، ولن تجد منهم متكاسلا أو مرتشيا، ولكن للأسف استغلت عقيدة هؤلاء الشباب، فى عمل

عمليات إرهابية فى المجتمع المصرى والعربى وأنا أعتبر هذا الخطأ الجسيم، الذى وقع فيه الأمن عن جهل وعدم تقدير خطورته أن يتحول شاب برىء إلى مجرم؟ مؤمن بما يفعله إلا بعكس القتلة العاديين الذين يرتكبون الأخطاء وعندهم قناعة بأنهم مخطئون، وهذا ما أدى إلى فداحة الجرائم التى ارتكبها هؤلاء الشباب صغيرو السن.

وهذا ما جعلنى أطرح تساؤلا: من سيقوم بمعالجة الحالة النفسية السيئة التى يعانى منها شباب قضى أزهى سنوات عمره فى السجن، ثم اكتشف أنه كان على خطأ؟

هذا السؤال طرحته على شاب كان فى يوم من الأيام ضمن المنتمين لجماعة إسلامية لها ميول سياسية، وسجن عدة مرات، ولكنه يتيقن تماماً أن من يريد الدعوة إلى الإسلام وأبتغاء مرضاة الله وإصلاح المجتمع، عليه أن يبتعد عن حب الزعامة، والسعى نحو الحكم!!

هذا الولد الذى عاش التجربة بكل ما فيها من مرارة، فيرى أن من أكبر الأخطاء التى يقع فيها الشباب المسلم المحب لدينه، أن ينتمى إلى زعيم جماعة أو أمير، لكى يدعو إلى نشر الفكر الإسلامى الصحيح!!

ويقول: عندما تقابلت فى إحدى تنقلاتى من سجن إلى سجن، مع شاب منتمٍ إلى جماعة الإخوان المسلمين، سألته لماذا يريد (محمد مهدى عاكف) وهو مرشد الإخوان أن يكون زعيما؟

الإخوان قدموا خدمات كبيرة للدعوة الإسلامية، ولكنهم يمحون هذا التاريخ المشرف فى الدعوة، بسعيهم نحو الحكم، وابتغاء مناصب سياسية، لماذا لا يتحول (محمد مهدى عاكف) إلى شيخ عادى يدعو إلى الإسلام؟ مثل المشايخ الكبار أمثال الشيخ (محمد متولى الشعراوى) والشيخ (محمد

الغزالى) رحمة الله عليهما، ويقدم علمه للناس، هل هؤلاء العلماء أقل من مرشد الإخوان (محمد مهدى عاكف) فى حبهم للإسلام، بالعكس هؤلاء المشايخ أكثر تحمساً لإقامة مجتمع إسلامى من كل قيادات الإخوان المسلمين والجماعات الأخرى، عندما نستعرض تاريخ الشيخ (محمد الغزالى) سنجده من أوائل الناس الذين ساندوا ثورة الجزائر، وعاش سنوات طويلة وسط ثوار الجزائر، وله مؤلفات عديدة فى العلوم الإسلامية، وساعد كثيراً فى تعليم الشعب الجزائرى تعاليم الإسلام الصحيحة، خاصة أن الجزائر قد صبغت بالصبغة الفرنسية، وتغلغلت الثقافة الفرنسية الغربية فى الشعب الجزائرى، الذى أصبح أبناؤه مثل الفرنسيين، وكثيراً منهم نسى اللغة العربية ويتحدثون باللغة الفرنسية، وبجانب الثوار كان هناك الكثير من الداعرات والمجرمين وسط هذه الصعوبات عمل الشيخ (محمد الغزالى) واستطاع أن ينشأ مجتمعا إسلاميا كبيرا فى الجزائر، ويجهز كوادر من الشباب الجزائرى، ليكونوا دعاة للإسلام، لتعود الجزائر مرة أخرى كدولة إسلامية، بعد أن استطاعت فرنسا خلال مائة وثلاثين عاماً من احتلالها، أن تمحو معظم تعاليم الإسلام لدى الشعب الجزائرى.

هذا الرجل والداعية الكبير (محمد الغزالى) ما زال يذكره شعب الجزائر بكل الخير، ويقدرون الدور الذى لعبه فى إحياء النزعة الإسلامية لدى الجزائريين، هذا الشيخ الجليل، عندما كان يعود لزيارة مصر فى الأعياد والمناسبات، يقوم بإلقاء خطبة العيد، ويحضر هذه الخطبة آلاف من المصريين فى فترة الستينيات والسبعينيات، ويقول رأيه بصراحة وينتقد الأنظمة السياسية بشدة، ولكنه لم يتعرض لأى مضايقات أمنية، بسبب انتمائه لنفسه، ويقول كلاما صادقا يبتغى من ورائه إصلاح شأن

المجتمع، وبرغم تأثيره فى الشعب المصرى والعربى إلا أنه لم يسع للإنضمام لأى تيار سياسى مبنى على أساس دينى، وهو من أوائل الناس الذين انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه انفصل عنهم، لأسباب لا يعلمها أحد، إنما بالتأكيد داعية بهذه المكانة العلمية رأى أن الإخوان انحرفوا عن الطريق الصحيح، وعن القواعد التى على أساسها بنيت جمعية الإخوان المسلمين.

لماذا الإجماع على عمر التلمسانى؟!!

تقابلت مع عدد كبير من الشخصيات المنتمية لتيارات دينية مختلفة فى الاتجاهات والمنهج وفى كل شىء!! ولكن الشىء الذى استوقفنى أنهم جميعاً يقدرون شخصية هامة جداً من أبرز رجال الإخوان المسلمين وهو الشيخ (عمر التلمسانى) ويتفقون جميعاً على أنه كان رجلا صادقا فى توجهاته، وأنه قاد الإخوان فى أصعب فترات صدامها مع الأنظمة العربية، وهى فترة حكم الرئيس (عبد الناصر) التى تعرض فيها الإخوان لأشد أنواع البطش والطغيان وأعدم الكثير من قيادتها ظلماً وبهتاناً على يد الرئيس (عبد الناصر) هذا ما ذكره أكثر من قابلتهم، حتى عندما تقابلت مع (منتصر الزيات) محامى الجماعات الإسلامية، وهو كان محسوبا على جماعة الجهاد، وكنت وقتها أقوم بكتابة كتابى (ذكريات لا مذكرات) الذى يرصد السيرة الذاتية لأهم رجل فى تاريخ أمن الدولة المصرى اللواء (فؤاد علام) وهو العدو الأول لكل الجماعات الإسلامية فى كل العالم، فى هذا الوقت قلت للأستاذ منتصر: أنا سوف أسأل اللواء (فؤاد علام) عن كيف استطاع أن يجعل (عمر التلمسانى) عميلاً لأمن الدولة، فوجدت منتصرا مندهشاً من كلامى، وقال هل (فؤاد علام) قال: إن (عمر التلمسانى) كان عميلاً لأمن الدولة؟ وقتها: قلت فى الحقيقة أن هناك إحدى المجلات

الكبرى كتبت هذا الكلام؟ وأنا سوف أطرح عليه هذا السؤال؟ وفى الحقيقة أن اللواء فؤاد علام أنكر هذا الكلام، وقال: بالعكس أن (عمر التلمسانى) كان من أصدقائى المقربين جداً، وتعود صداقتى للشيخ (التلمسانى) عندما كنت أحقق معه فى قضية المرحوم الشيخ (سيد قطب) عام ١٩٦٥، وكنت إذا سألته عن شىء ويريد أن يرد، يتحدث بكل صراحة!! وإذا كان سؤالى صعبا ولا يريد أن يرد، كان يقول: أعفنى من هذا السؤال؟ وتوطدت العلاقة بيننا حتى لحظة وفاته، وأكد لى (فؤاد علام) أن لولا (عمر التلمسانى) لانهارت جماعة الإخوان المسلمين!!

من الأعمال المهمة التى عملها (عمر التلمسانى) لتقوية جماعة الإخوان المسلمين وذكرها لى (فؤاد علام) أنه استطاع أن يؤسس لهم شركات ومصانع فى أوروبا، وأصبح لرجال الإخوان شأن كبير فى صناعة وبيع الساعات فى سويسرا؟ وهو الذى جعل لهم نظاما اقتصاديا لتمويل كل جماعات الإخوان فى كل العالم، هذا ما ذكره اللواء (فؤاد علام)!!

ولكن الشىء الذى يدعو إلى التفكير أن وزير الداخلية (النبوى إسماعيل) كان يتحدث عن (عمر التلمسانى) بكل الحب والتقدير، ويصفه بأنه رجل وطنى شريف، وأنه يعرف (التلمسانى) من وقت الحكم الملكى، أيام ما كان ضابطا فى قسم القناطر الخيرية!! وظلت العلاقة بينهما حتى وفاة عمر التلمسانى؟

أحد أفراد الجماعات قال: إن الإخوان المسلمين فقدوا مصداقيتهم بعد وفاة (عمر التلمسانى)، وأنه الوحيد الذى كان يعمل من أجل الدعوة إلى الدين الإسلامى بالشكل الأمثل؟ وأن الإخوان الآن يعملون من أجل الوصول إلى الحكم؟

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل جمعية الإخوان المسلمين التى قام بإنشائها عام ١٩٢٨ (حسن البنا) من أجل محاربة حركات التبشير فى المجتمع المصرى تقوم بدورها؟

الإخوان كان لهم دور كبير فى العمليات الفدائية ضد الإنجليز قبل الثورة، والإخوان لهم دور كبير فى نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢، وهناك كثير من العالمين ببواطن الأمور وعايشوا تلك الفترة ذكروا هذا، ولكن الإخوان كان لهم دور اجتماعى بعد قيام الثورة، وهو نشر القيم الإسلامية الصحيحة فى المجتمع المصرى، ولكنهم تخلوا عن دورهم الأهم، واتجهوا للتفكير فى السياسة والمشاركة فى الحكم، وهذا الاتجاه السياسى جعلهم يصطدمون مع الضباط الأحرار بقيادة (عبد الناصر) ومن هنا بدأت الكارثة الحقيقية الضباط الأحرار استخدموا كل الوسائل للتخلص من الإخوان المسلمين، الذين تغلغلوا وقتها فى المجتمع على كل مستوياته فى الجامعات والمصانع والجوامع؟ وكانت البداية الصدام الذى حدث فى جامعة القاهرة عام ١٩٥٤.

إعدام سيد قطب سبب الخلاف

تقابلت مع رجل من حى بولاق الدكرور يقترب عمره من سن الستين، وهو متعاطف مع الإخوان المسلمين ولكنه غير منتمٍ إليهم، وهو رجل يعمل بوزارة التربية والتعليم، ويشغل منصبا وظيفيا كبيرا.

عندما سألته عن أسباب تعميق الخلاف بين الإخوان المسلمين ورجال ثورة يوليه؟ ولماذا لم يغيروا الإخوان من فكرهم بعد المعاملة الحسنة التى عوملوا بها من قبل الرئيس السادات، والذى منع بكل شدة أى إجراءات تعسفية تتخذ ضد الإخوان، مثلما كان يحدث فى فترة حكم الرئيس

عبدالناصر؟

هذا الرجل بدأ كلامه بحذر شديد، ولكنه بدأ يتحدث بلهجة كلها حزن وأسى قال: إن كل الناس من مفكرين وكتاب وأصحاب ،لرأى، يعرفون أن السبب فى الخلاف هو الرئيس (عبد الناصر)، الذى كان يتعامل مع كل من هو منتم لجماعة الإخوان المسلمين على أنه عدو يجب القضاء عليه!! وعندما نستعرض الصدام الكبير الذى حدث بين الإخوان المسلمين وعبدالناصر فى جامعة القاهرة عام ١٩٥٤، وتم اعتقال أعداد كبيرة من الإخوان، بعض المصادر قالت: إن عدد المعتقلين وصل إلى الآلاف، وكان من ضمن من تم اعتقالهم، المرشد الحالى لجماعة الإخوان (محمد مهدى عاكف) والداعية والعلامة الكبير (سيد قطب) والدكتور (محمد عبد الخالق) و (حسن الهضيبى) و (مأمون الهضيبى وعلى الأسود) وبرغم أن فترة الاعتقال طالت ووصلت إلى عشر سنوات، وبالطبع المعاملة كانت فيها قسوة وإهدار للكرامة، وهناك من تحول إلى مستشفى الأمراض العقلية وهناك من مات، كل هذه الأشياء كتبت فى الصحف والمجلات فى السبعينيات فى فترة حكم الرئيس (السادات) الذى أعطى الفرصة لكل من تعرض للتعذيب والاعتقال لسنوات أن يرفع قضية فى المحكمة، وهناك الكثير ممن أخذوا تعويضات، وتم فضح نظام (عبد الناصر) ومراكز القوى والبوليس السياسى الذى كان يحكم مصر فى تلك الفترة المريرة من تاريخ مصر، ولكن أنا أعتقد أن السبب الكبير فى كراهية الإخوان لنظام (عبد الناصر) وأتباعه من قادة ثورة يوليو، هو إصرار (عبد الناصر) على إعدام الداعية الكبير (سيد قطب) فى القضية الكبرى التى سميت باسم (سيد قطب) عام ١٩٦٣، والتى ضمت العديد من قادة الإخوان الكبار على رأسهم الشيخ (عمر التلمسانى ومحمد مهدى عاكف والدكتور محمد

عبدالخالق والحاجة زينب الغزالى وشكرى مصطفى وسيد الملط) ولكن لماذا يخفف (عبد الناصر) أحكام الإعدام عن بعض ممن صدرت ضدهم أحكام بالإعدام من جماعة الإخوان؟ ويصر إصراراً غير طبيعى على إعدام (سيد قطب)؟ بالرغم أن المنظمات العالمية وعلى رأسها مؤتمر العالم الإسلامى الذى انعقد عام ١٩٦٥، وأرسلوا مندوبا للرئيس (عبدالناصر) يطالبونه بالعفو عن (سيد قطب) ولكن الرئيس (عبدالناصر) رفض كل مطالب المنظمات العالمية وتمسك برأيه، وأصر على إعدام (سيد قطب) بالليل فى سجن الاستئناف، لا أعرف لماذا كان عبد الناصر على خصومة كاملة مع كل ما هو إسلامى؟ من هذه الحادثة كل ما هو منتمٍ لجماعة الإخوان لا يطيق أن يسمع اسم (عبد الناصر) ويشعر بالضيق الشديد لمجرد سماع إسمه وبالذات أن عبد الناصر ورفاقه تسببوا فى هزيمة ١٩٦٧، وخيب آمال الشعب المصرى، الذى صدم بهزيمة يونيه، ولم يصدقوا أن مصر هزمت من الكيان الصهيونى المجرم؛ لأن وقتها الإعلام كان يصور للناس أن مصر قادرة على سحق إسرائيل من على الخريطة، وأن إسرائيل لا تستطيع أن تفكر فى شن حرب على مصر، لأنها ستهزم وسيتم إلقاؤها فى البحر، وكانت خطب (عبد الناصر) الجوفاء أنه قادر على محاربة إسرائيل وما وراء إسرائيل ويقصد (أمريكا) وكان وقتها الشعب يصدق مثل هذه الشعارات الكاذبة، هذا الجرح العميق الذى جرحه (عبد الناصر) للإخوان المسلمين بإعدام (سيد قطب) هو الذى خلف وراءه كل أعمال العنف التى تمت فى أواخر السبعينيات بقتل الرئيس (السادات) صحيح أن الإخوان براء من قتل الرئيس (السادات) ولكن الجماعات التى خرجت من عباءتهم مثل جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية وهى التى قامت بقتل زعيم كبير مثل (السادات) رجل عمل من

أجل مصر، وأنصف الإخوان كثيراً وأخذ منهم وزراء ولكن لم يستطع (السادات) بمعاملته المعتدلة أن ينهى هذا الخلاف الذى تسبب فيه (عبدالناصر) ورفاقه من البوليس السياسى، الذى ارتكب الكثير من الجرائم، ولم يترك رجلاً صاحب رأى أو رجلاً شريفا لم يهدر كرامته، وأكبر شاهد على ذلك الكتاب و لمفكرون الذين اعتقلوا فى فترة حكم (عبد الناصر) وتعرضوا لإهانات بالغة، عبروا عنها فيما بعد فى فترة حكم الرئيس (السادات).

ولكن الشىء الآخر لماذا (عبد الناصر) كان يفضل الكتاب الشيوعيين والملحدين والمتطرفين من اليساريين على المفكرين والكتاب الإسلاميين؟ هل هذا كراهية فى الإخوان المسلمين أعدائهم أم لشىء فى نفسه لم يعرفه أحد ولم يصرح هو به؟

استبداد الحكام وغياب العدالة؟

تقابلت مع رجل يقترب من سن الستين ويعمل بالمحاماة وهو من سكان حى (بولاق الدكرور) وهو رجل شديد التدين يختلف مع الأنظمة العربية بالكامل عندما سألته لماذا انتشرت ظاهرة الجماعات الإسلامية فى حى بولاق الدكرور بشكل كبير منذ الستينيات؟ وهناك أعداد كبيرة تم اعتقالها بسبب انتماءها لجماعة الإخوان المسلمين وجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية؟

هناك أسباب مقنعة لدى هذا الشباب أن تجعلهم ينضمون إلى هذه الأنظمة التى سوف تحدث تغييرا فى المجتمع، ويدعوهم لكراهية هذه الحكومات التى لم تقدم لهم ما يريدونه من حياة كريمة، وبالطبع الشباب ينظر إلى عدم وجود عدالة اجتماعية وهى من الشعارات التى نادت بها

ثورة يوليو ولم تتحقق أبداً فى مصر؟

منذ قيام الثورة وحتى اليوم، هذا الخلل الاجتماعى جعل الشباب عنده كراهية شديدة للقائمين على النظام المصرى والأنظمة العربية أيضاً، وبالتالى تجدهم عرضة للإقتناع من قبل قادة الجماعات الإسلامية، حتى لو كانت هذه الأفكار خاطئة، لأنهم فقدوا الثقة فى الحكومات المتتابعة، التى دائماً توعدهم بأشياء وتكذب، وتستمر المهازل شاب متفوق فى الجامعة ومن أوائل الدفعة لا يتم تعيينه فى الجامعة كمعيد ليكمل مسيرته العلمية، ويتم استبداله بشاب آخر ليس له ترتيب وغير متفوق، ولكنه يمتلك الوساطة، ومن هنا قيل: أشياء كثيرة، اختفى دور العالم والباحث والمثقف، وبدأت تظهر فئة الراقصات وبنات الليل والمطربين ولاعبى كرة القدم، هل تتصور عندما تجد ممثلة مشهورة بأداء أدوار العرى أن تتزوج من أمير عربى فى فترة السبعينيات، وممثلة أخرى مشهورة مثلها تتزوج بأكثر من أمير عربى، ووسائل الإعلام تنقل هذه الأخبار بالإشارة، ولا تستطيع أن تكتب أسم هذه الممثلة التى تزوجت من الأمير، وهذا الأمير ينسب لدولة كبيرة عربية، خوف وسائل الإعلام من تناول هذه الزيجات، جعل كثير من البنات تقبل على الانحراف لتتزوج من أمير، هذا الجو القذر جعل الشباب صغير السن عنده رغبة فى تغيير هذه الأنظمة، التى تسعى لإقامة علاقات مع بنات الليل، ولا تفكر فى تقديم حلول للشباب المتعلم، الذى لا يجد فرصة عمل ليقيم حياة شريفة. هل من المنطق أن تجد أميرا عربيا ينفق الملايين من أجل إقامة علاقة لمدة يوم مع نجمة أمريكية منحرفة؟ وشباب يقاسى من أجل أن يجد شقة مكونة من غرفتين وصالة!! هذا شىء عجيب، وبالطبع الأنظمة المصرية المتوالية لا يقوم المجتمع المصرى باختيارها، إنما تفرض عليه، وهذا ما أحدث الخلل

الاجتماعى، وغياب العدالة الاجتماعية، يدفع الشباب لعمل أى شىء ضد أنظمة فقد فيها الأمل فى إصلاح شأنه، هل من المنطق أن تحرم شاب من كل طموحاته وتريد منه أن يقاوم إغراءات المال التى تقدم له من قبل هذه الجماعات الإرهابية؟ شىء فى غاية الصعوبة أن تجد إنسانا جوعان محروم من رغيف الخبز، ويرفض أن يأخذ تفاحة حتى لو قدمت له من عدو؟ السبب فى ظاهرة الإرهاب لدى الشباب العربى أن حكوماتهم مشغولة بمصالحها الشخصية والبحث عن بنات الليل وتدليلهم، وغياب القدوة لدى الشباب الذين يشاهدون المسؤولين يسرقون أموالهم ويعطونها لمحاسيبهم وأولادهم، الشىء الأخطر هو عندما ينضم شباب جدد ليس لهم تاريخ إجرامى لمثل هذه الجماعات، وبالطبع الأمن سوف يأخذ فترة لكى يتعرف عليهم، وتكون المفاجأة عمليات إرهابية كبيرة يكون ضحيتها الأبرياء من البسطاء، ويكون الضحايا أهالى هؤلاء الشباب، هل سيأتى اليوم الذى يختار فيه الشعوب العربية حكامهم بانتخابات شريفة نزيهة؟ إذا حدث هذا فسوف تختفى ظاهرة الإرهاب، الجوع والحرمان وغياب العدالة أسباب كافية جداً لتكوين أرض خصبة للإرهاب.

■■■